الدعاء.. عبادة خالصة

◄جاء في الذكر الحكيم: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186).

إنّها دعوة اللّه إلى عبده أن يستجيب له، فيدعوه إلى أنّ في ذلك خلاصاً له من كلّ سوء أو شدّة، وتحرّراً من كلّ عبودية لغير اللّه، عندما يشعر بأنّ ا هو وليّ حاجته، فمنه الفرج لكلّ شدّة، وبه الخلاص من كلّ سوء، وهو ـ لا غيره ـ مالك الدنيا والآخرة، ووليّ الحياة والموت، وبيده مقاليد الأمور، وذلك هو سبيله للشعور بالأمن والطمأنينة والاستقرار، حين يشعر بأنّ حاجاته الصعبة هي في دائرة رحمة القادر على قضائها، والعالم بما يصلحه أو يفسده منها... وهي في الوقت نفسه دعوة إلى الإيمان به، لأنّه الحقيقة الواضحة التي لا يحتاج الإنسان في وعيها وفي الإيمان بها، إلى مزيدٍ من الفكر والتأمّل والمعاناة؛ بل يلتقي بها في كلّ شيء يعيش معه، وفي كلّ ظاهرة من ظواهر الوجود، وفي الحالين معاً؛ في الدعاء عندما ينطلق، وفي الإيمان عندما يتحرّك الرشد ـ كلّ الرشد ـ في واقع الحياة وفي حركتها الصاعدة أبداً إلى ا.

والدعاء ـ بعد ذلك كلّه ـ عبادة ـ تهزّ أعماق الإنسان بالشعور بوجود ا وحضوره في كلّ ملتقى

للإنسان، في ما يهمّه من أمور الحياة، وفي ما يثيره من شؤون الآخرة. وهي عبادة لا تُفرَض عليه كلماتها وأجواؤها من خارج ذاته، من خلال تعليمات مفروضة، بل هي مشاعره وأفكاره وحاجاته وآلامه وآماله وكلماته المنطلقة من ذاته، في أسلوبٍ عفويّ محبّب، في جوٍّ حميمٍ يفقد معه الشعور بالفواصل التي تفصله عن ا، بما تمثّله علاقة العبد بالسيّد، أو علاقة المخلوق بخالقه؛ بل هو الجوّ الذي يحسّ فيه بالانفتاح والامتداد في أجواء المطلق. وتلك هي السعادة، كلّ السعادة، والروحيّة الفيّاضة بالنور والعطر والحياة.

الدعاء عبادة تهزّ أعماق الإنسان بالشعور بوجود ا وحضوره في كلّ ملتقى للإنسان، في ما يهمّه من أمور الحياة، وفي ما يثيره من شؤون الآخرة...

إنّها عبادة الإنسان التي تتحرّك معها حياته كلّها بين يدي ا، في شعور بالمحبّة الذاتية الخالصة التي لا يعرف روعتها إلّا المخلصون من عباد ا.

وقد ورد عن النبيّ (ص): «الدعاء مخّ العبادة»، وعنه أيضاً: «الدعاء هو العبادة».►